للمال قالوا له ذلك في جواب نهيه عن التطفيف والامر بالايفا وانما اضافوا ذلك الي الصلاة
تهكما واستهزاء بها واشعارا بان مثل هذا لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه
خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب عليه الصلاة والسلام
اكثر الصلاة في الليل والنهار وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا وقصدوا
بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزو كما اذا رايت معتوها يطالع كتبا ثم يذكر
كلاما فاسدا فيقال له هذا مطالعة تلك الكتب على سبيل الهزو وكذا اهنا وقرأ
حفص وحمزة والكسائي اصلاتك بالافراد والباقون بالجمع والتا بالرفع في القرائتين
وغلظ ورش اللام في اصلواتك وقولهم له انك لانت الحليم الرشيد تهكم به وقصدوا
وصفه بضد ذلك كما يقال للبخيل الخسيس لو رآك حاتم لسجد لك وعللوا انكار
ما سمعوه منه واستبعدوه بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين من المبادرة
الي مثل ذلك ثم اخرج قوله عليه السلام على تقدير سؤال بقوله قال يا قوم
مستعطفا لهم لما بينهم من عواطف القرابة منبها لهم على احسن النظر
فيما ساقه على سبيل الفرض والتقدير ليكون ادعي الي سبيل الوفاق والانصاف
ارايتم اي اخبروني ان كنت على بينة اي برهان من ربي وعطف على جملة
الشرط المستفهم عنه قوله ورزقني والضمير في منه لله تعالى اي من عنده
باعانته بلا كد مني في تحصيله وعظم الرزق بقوله رزقا حسنا جليلا وما لا
حلالا لا ظلم فيه اخذا وجواب الشرط محذوف فهل يسع مع هذا الانعام
الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه فاخالفه في امره
ونهيه وهذا اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الاباء
وما اريد ان اخالفكم اي واذهب الي ما انهاكم عنه فارتكبه ان اي ما اريد
اي فيما امركم به وانهاكم عنه الا الاصلاح اي ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي
ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت اي وهو الابلاغ والانذار
فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الي الله تعالى فانه يضل من يشا ويهدي
من يشا وما توفيقي اي لاصابة الحق والصواب الا بالله اي بمعونته وتاييده
عليه لا على غيره توكلت اي اعتمدت في جميع اموري فانه القادر على كل شي
وما عداه عاجز وهذه الصيغة تفيد الحصر فلا ينبغي للانسان ان يتوكل على احد
الا على الله تعالى وفيه اشارة الي محض التوحيد الذي اقصى مراتب المبدا واما قوله
واليه انيب ففيه اشارة الي معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر لانه قوله واليه
انيب يدل على انه لا مآب للخلق الا الي الله تعالى وروي عنه انه كان صلى الله عليه
وسلم انه كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه
ويا قوم لا يجرمنكم اي لا يكسبنكم شقاقي اي خلافي وهو فاعل الجرم
والضمير مفعول اول والمفعول الثاني ان يصيبكم عذاب العاجلة على كفركم
وافعالكم الخبيثة قال في الكشاف جرم مثل كسب في تعديته المفعول واحد

والي

والي مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم
شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح العقيم او
قوم صالح من الرجفة وما قوم لوط منكم ببعيد يعني لا في الزمان ولا في المكان لانهم
كانوا حديثي عهد بهلاكهم وكانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم فان القرب
في الزمان والمكان يفيد المعرفة وكمال الوقوف على الاحوال فكانه يقول اعتبروا باحوالهم
واحذروا من مخالفة الله ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب فان قيل لم قال
ببعيد ولم يقل ببعيدين اجيب بان التقدير وما اهلاكهم بشي بعيد وايضا يجوز ان
يستوي في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر
التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما اشتهى واستغفروا ربكم اي امنوا به ثم توبوا اليه من
عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان وقد مر مثل ذلك ثم توبوا اليه اي
عظيم الرحمة للتائبين ان ربي رحيم اي محب لهم ولما بالغ عليه السلام في التقرير
والبيان اجابوه بانواع فاسدة الاول قالوا له يا شعيب ما نفقه اي ما نفهم
كثيرا مما تقول فان قيل انه كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه اجيب
بانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عن كلامه وهو وجعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه وانهم فهموه ولكنهم ما اقاموا له وزنا فذكروا هذا الكلام على وجه
الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول النوع
الثاني قولهم له وانا لنراك فينا ضعيفا اي لا قوة لك فتمتنع منا ان اردناك بسو
او ذليلا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير قاله قتادة وفي هذا تجويز العمى على
الانبياء الا ان هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به في اثبات هذا المعنى
لانه ترك الظاهر من غير دليل وقيل ضعيف البصر قاله الحسن النوع الثالث
قولهم له ولولا رهطك اي عشيرتك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف
من شوكتهم لرجمناك بالحجارة حتى تموت والرهط من الثلاثة الي عشرة وقيل
الي السبعة والمقصود من هذا الكلام انهم بينوا انه لا حرمة له عندهم ولا وقع
له في صدورهم وانه انما لم يقتلوه لاجل احترام رهطه النوع الرابع قولهم له وما
انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم
وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك
دوننا ولما خوف الكفار شعيبا بالقتل والايذا حكى الله عنهم ما ذكره في
هذا المقام وهو نوعان الاول قال لهم يا قوم مستعطفا لهم مع غلظتهم
عليه ارهطي اعز عليكم من الله المحيط بكل شي قدرة وعلما حتى نظرتم اليهم
في اي لقرابتي منهم ولم تنظروا الي الله تعالى في قربي منه لما ظهر علي من كرامته
واتخذتموه وراءكم ظهريا اي جعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به
والاهانة برسوله قال في الكشاف والظهري منسوب الي الظهر والكسر
من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الي الامس امسي

منكم

زيادة م

اي عظيم الرحمة للتائبين ودود ع

Copyright © King Saud University